

الأنبياء الكاظمين في معرفة الأواخر والأوائل

تأليف

الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجبلي

المتوفى سنة ٥٨٠٥

محقق نصرة وعلق عليه

أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عوف

منشورات

محرر السيد بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تفهيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر. أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا عوافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٢٩٨ - ٣٦٦١٢٥ - ٦٠٢١٣٣ - (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohory st., Melkart bldg., 1st Floor.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ظهر المعنوي فالصور مظهر له، وقد يغلب حكم أحدهما فيستر الثاني تحته، فيحكم بالأمر الواحد على حجاب فافهم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع: في العماء

إن العماء هو المحل الأول فلك شمس الحسن فيه أقل
هو نفس نفس الله كان له بها كون ولم يخرج فلا يتبدل
مثل له المثل العلى كمونه ككمون نار قد حواه الجندل
مهما بدت نار من الأحجار فهي بحكمها وكمونها لا ترحل
والنار في الأحجار كامنة وإن ظهرت فهذا الحكم لا يتحلل
ولكم رأينا ناظراً هو في عما عنه تعالى الله لا يتمثل
هو حيرة الأبواب في دهشاتها عنها فتلك لها عما يهمل
هو نفسه لا باعتبار ظلامها بل باعتبار ضيائها إذ يعقل
من غير ما أحدية مجهولة أو واحدية كثرة لا تجهل
لطفت فغابت في لطيفة ذاتها فكمونها فيه العماء الأول

واعلم أن العماء عبارة عن حقيقة الحقائق التي لا تتصف بالحقية ولا بالخلقية، فهي ذات محض لأنها لا تضاف إلى مرتبة لا حقية ولا خلقية، فلا تقتضي لعدم الإضافة وصفاً ولا اسماً، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «إن العماء ما فوقه هواء ولا تحته هواء» يعني لا حق ولا خلق، فصار العماء مقابلاً للأحدية، فكما أن الأحدية تضمحل فيها الأسماء والأوصاف ولا يكون لشيء فيها ظهور، فكذلك العماء ليس لشيء من ذلك فيه مجال ولا ظهور. والفرق بين العماء والأحدية أن الأحدية تحكم الذات في الذات بمقتضى التعالي وهو الظهور الذاتي الأحدى، والعماء تحكم الذات بمقتضى الإطلاق فلا يفهم منه تعالى وتدان وهو البطون الذاتي العمائي، فهي مقابلة للأحدية، تلك صرافة الذات بحكم التجلي وهذه صرافة الذات بحكم الاستتار، فتعالى الله أن يستتر عن نفسه عن تجل أو يتجلى لنفسه عن استتار، وهو على ما تقتضيه ذاته من التجلي والاستتار والبطون والظهور

والشعون والنسب والاعتبارات والإضافات والأسماء والصفات لا تتغير ولا تتحوّل، ولا يلبس شيئاً فيترك غيره ولا يخلع شيئاً فيأخذ سواه، بل حكم ذاته هو على ما هو عليه منذ كان، ولا يكون إلا على ما كان ﴿لا تبدل لخلق الله﴾^(١) أي لوصف الله الذي هو عليه، وإنما هذه التغييرات والتحويلات في الصور وغيرها من النسب والإضافات والاعتبارات وأمثال ذلك، وإنما هو بحكم ما يتجلى به علينا ويظهر به لنا، وهو في نفسه على ما هو عليه من الأمر الذي كان له قبل تجليه علينا وظهوره لنا، وبعد ذلك الحكم لا تقبل ذاته إلا التجلي الذي هو عليه فليس له إلا تجلّ واحد، وليس للتجلي الواحد إلا اسم واحد، وليس الاسم الواحد إلا وصف واحد، وليس للجميع إلا واحد غير متعدّد، فهو متجلّ لنفسه في الأزل بما هو متجلّ له في الأبد.

على العهد من تلك المعاهد زينب وما غيرتها الحادثات فتحجب
لقد حفظت تلك العهود ولم تكن تضيع عهداً بالمحصب زينب
فإن نقلت عنها الوشاة تجنباً فمن أجل ما تهوى الوشاة التجنب
وإن أاعدوا فيها يصدّ وهجرة فبرق الوفا في وابل اللطف خلب
خذوا بانداماها كعوس رضابها فكف يد الندمان فيها مخضب
ولا تأملوا منها اعتناقاً وسلمة فليس إلى الشمس الخفافيش تقرب
فما أسفرت عنه لكم فبعطفها ومن رحمة للصبّ لا تتحجب
وليس على التحقيق كفاء جمالها سواها فإياكم وعنقاء مغرب

وهذا التجلي الواحد هو المستأثر الذي لا يتجلى به لغيره، فليس للخلق فيه نصيب ألبتة، لأن هذا التجلي لا يقبل الاعتبار ولا الانقسام، ولا الإضافة ولا الأوصاف ولا شيئاً من ذلك، ومتى كان للخلق فيه نسبة احتاجت إلى اعتبار أو نسبة أو وصف أو شيء من ذلك، وكل هذا ليس من حكم هذا التجلي الذي هو عليه في ذاته من الأزل إلى الأبد ويوافي التجليات الإلهية ذاتية كانت أو فعلية، صفاتية كانت أو اسمية، فإنها ولو كانت له حقيقة فهي ما تقتضيه من جهة ظهوره وتجليه على عباده. وعلى الجملة فإن هذا التجلي الذاتي الذي هو عليه جامع لأنواع التجليات لا يمنع كونه في هذا التجلي أن يتجلى بتجلّ آخر، ولكن حكم

(١) آية (٣٠) سورة الروم.

التجليات الآخر تحته كحكم الأنجم تحت الشمس موجودة معدومة على أن نور الأنجم في نفسها من نور الشمس، وكذلك باقي التجليات الإلهية إنما هي رشفة من سماء هذا التجلي أو قطرة من بحره، وهي على وجودها معدومة من ظهور سلطان هذا التجلي الذاتي، المستأثر الذي استحقه لنفسه من حيث علمه به، وبواقى التجليات استحقها لنفسه من حيث علم غيره به فافهم، جري جواد البيان في مضمار هذا التبيان إلى أن أبدى حكم ما لا يظهر أبداً، فلنقبض العنان في هذا البرهان، ونبسط اللسان فيما فيه كان الترجمان، فنقول: بعد أن أعلمناك أن العماء هو نفس الذات باعتبار الإطلاق في البطون والاستتار، وأن الأحدية هي نفسه باعتبار التعالي في الظهور مع وجوب سقوط الاعتبارات فيها، وقولي باعتبار الظهور واعتبار الاستتار إنما هو لإيصال المعنى إلى فهم السامع، لا أنه من حكم العماء اعتبار البطون، أو من حكم الأحدية اعتبار الظهور فافهم.

واعلم أنك في نفسك والله المثل الأعلى في عماء عنك إذا اعتبرنا عدم ظهورك لك مطلقاً بكلية ما أنت عليه، ولو كنت عالماً بما أنت به وعليه، لكن بهذا الاعتبار فأنت ذات في عماء، ألا تراك باعتبار أن الحق سبحانه وتعالى عينك وهويتك وقد تغفل عن حقيقة ما هو أنت به أحق، فتكون عنك في عماء بهذا الاعتبار، وأنت من حيث حقلك لم يحتجب عنك، لأن حكم الحق أن لا يحتجب عن نفسه فكنت في ظهورك لنفسك بحكم الحق على ما أنت عليه من العماء، وهو استتارك عن حقيقتك بحكم الخلق، فكنت ظاهراً لنفسك باطناً عنك، وهذا ضرب من الأمثال التي نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون؛ ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ: «أين كان الحق قبل أن يخلق الخلق؟» أجاب بقوله: «في عماء»^(١) لأن التجلي في نفسه لا بد أن يقتضي من حيث اسمه أن يكون لا استتار قبله وهذه القبلية قبلية حكم لا قبلية توقيت، لأنه تعالى أن يكون بينه وبين خلقه توقيت أو انفصال أو انفكاك أو اتصال أو تلازم إذ الوقت والانفصال، والانفكاك والتلازم مخلوقات له، فكيف يكون بينه وبين مخلوقاته مخلوقات آخر، إذ لو كان كذلك للزم التسلسل والدور، وهما محالان، فلا بد أن تكون قبلية وبعديته وأوليته وآخريته حكماً، واعتبار محلات وإضافات لا زمانية ولا مكانية، بل كما ينبغي له، فهو قبل خلق الخلق في

(١) أحمد ٤/١٢، وابن حبان (٣٩)، والطبري ٤/١٢، وتاريخ الطبري ٣٨/١.

عماء، وبعد خلق الخلق فيما كان عليه من قبل، فعلم من هذا أن المراد بالعماء هو الحكم السابق إلى الذات بعد الاعتبارات، وخلق الخلق يقتضي الظهور، والظهور هو الحكم اللاحق بالذات مع وجود الاعتبارات؛ فتلك السبقية هي القبلية، وهذا اللحق هو البعدية، ولا قبل ولا بعد، إذ هو قبل وبعد، وهو أول وهو آخر. والعجب من هذا أن ظهوره عين بطونه لا باعتبار ولا بنسبة وجهة، بل عين هذا عين هذا، فأوليته عين آخريته وقلبيته عين بعديته، حارت فيه العقول وانقطع دون عظمته الوصول، فلا مفهوم يصوره ولا معقول.

الباب العاشر: في التنزيه

التنزيه عبارة عن انفراد القديم بأوصافه وأسمائه وذاته، كما يستحقه من نفسه لنفسه بطريق الأصالة والتعالي، لا باعتبار أن المحدث مائله أو شابهه، فانفرد الحق سبحانه وتعالى عن ذلك، فليس بأيدينا من التنزيه إلا التنزيه المحدث، والتحق به التنزيه القديم، لأن التنزيه المحدث ما بإزائه نسبة من جنسه وليس بإزاء التنزيه القديم نسبة من جنسه، لأن الحق لا يقبل الضد ولا يعلم كيف تنزيهه، فلأجل ذا نقول تنزيه عن التنزيه، فتنزيهه لنفسه لا يعلمه غيره ولا يعلم إلا التنزيه المحدث، لأن اعتباره عندنا تعري الشيء عن حكم كان يمكن نسبه إليه فينزه عنه، ولم يكن للحق تشبيه ذاتي يستحق عنه التنزيه، إذ ذاته هي المنزهة في نفسها على ما يقتضيه كبرياؤها، فعلى أي اعتبار كان وفي أي مجلي ظهر أو بان تشبيهاً كان، كقوله: «رأيت ربي في صورة شاب أمرد»^(١) أو تنزيهاً كقوله له: «نور أنى أراه»^(٢) فإن التنزيه الذاتي له حكم لازم لزوم الصفة للموصوف، وهو من ذلك المجلي على ما استحقه من ذاته لذاته بالتنزيه القديم الذي لا يسوغ إلا له ولا يعرفه غيره، فانفرد في أسمائه وصفاته وذاته ومظاهره وتجلياته بحكم قدمه عن كل ما ينسب إلى الحدوث ولو بوجه من الوجوه، فلا تنزيهه كالتنزيه الخلقى ولا تشبيهه كالتشبيه تعالى وانفرد. وأما من قال: إن التنزيه راجع إلى تطهير محللك لا إلى الحق فإنه أراد بهذا التنزيه الخلقى الذي بإزائه التشبيه يعم، لأن العبد إذا اتصف من أوصاف الحق بصفاته

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسلم في: الإيمان: ب (٧٨): حديث (٢٩١)، وأحمد ١٥٧/٥ و١٧١.